خلال التطورات التي طرأت على القضية الفلسطينية ، نقلة هامة الى الامام . لقد كان رد الفعل الاول على بيان روزفلت ، عبر البيان الذي بعث به مكتب البعث العربي الى وزير اميركا المفوض في دمشق ، يتميز بخيبة الامل المريرة ، والعتاب والغضب الشديد . فالبيان يرى في موقف اميركا من فلسطين خطة استعمارية تتناقض مع مبادىء الحرية التي تبناها الحلفاء ، ونالوا بها عطف الشعوب المحبة للسلام . لقد أسهم العرب في المجهود الحربي للحلفاء ، وقاتلوا الى جانبهم ، رغم التجارب المريرة القاسية التي عانوها من جشع الاستعمار الغربي بعد الحرب الاولى ، آملين أن يخرجوا بنتائج إيجابية بعد الحرب الثانية . وقد ازداد املهم هذه المرة بعد أن أعلنت اميركا انها ستدخل الحرب من اجل المبادىء الانسانية السامية ، ومن اجل تحقيقها . لكن موقف روزفلت . بعد الحرب ، جاء ليحبط هذه الامال ، وليشعر العرب ان الغرب قد غرر بهم مرة ثانية . ويعلن بيان مكتب البعث العربي « ان موقف روزفلت قد افهم العرب والعالم الاسلامي بصورة لا تقبل الشك ان المبادىء والمثل العليا ليست في نظر الدول الغربية الا أداة تسخر لنيل مآرب استثمارية بعيدة كل البعد عن تلك المبادىء والمثل »[٩] .

لقد كان الحزب يأمل ان يكون موقف الامة العربية من الحرب العالمية الثانية، بالرغم من التجارب المريرة التي عانتها على يد الاستعمار الاوروبي طوال ربع قرن ، عاملا هاما يقنع العالم الغربي بفشل مبدأ السياسة الاستعمارية من اساسها . ولذلك وقف العرب من قضية الحلفاء موقف عطف واستبشار . وكان معظم امل الامة معلقا على المبادىء التي كانت اميركا قد اعلنتها ، ودخلت الحرب على اساسها . ولكن موقف الاحزاب الاميركي الاخير من قضية فلسطين قضى نهائيا على هذه الامال . لقد كان للقرار الذي اتخذه الحزب الديموقراطي الاميركي بشأن فتح فلسطين للهجرة اليهودية ، وجعلها وطنا قوميا لليهود اكبر الاثر في جعل الشباب العربي القومي ، الذين شكلوا في ذلك الوقت مكتبا للبعث العربي ، ينصرفون عن تعليق الآمال على المبادىء السامية والانسانية التي ادعت اميركا دخول الحرب في سبيلها ، ويدركون أن السياسة الاستعمارية القديمة لا تزال سائدة ، وان المبادىء العادلة ، والمثل العليا ، في نظر الدول الغربية ، سواء في اوروبا أو اميركا ، ليست سوى اداة تسخر لنيل مآرب ومنافع بعيدة عن تلك المبادىء والمثل كل البعد . وعلى الرغم من ذلك يبقى رد الفعل المبكر في حدود « التخوف » اذ أن البعث حذر في كتاب له الى المعتمد السياسي الاميركي في سوريا سنة ١٩٤٤ من تضليل الرأسمالية والصهيونية لاميركا ، فهو يذكر اميركا بمبادئها ومواثيقها الرسمية ، لا لتركيز حق العرب على هذه المبادىء والمواثيق ، فحق العرب في فلسطين ، كما جاء في الكتاب ، هو حق طبيعي وتاريخي ، تؤيده الوف السنين من الجهاد والعمل المنشىء المتصل . ويتخوف الكتاب من تورط اميركا فيقول « .. ولكننا نخشى أن تقدم اميركا على الاعتداء على حق العرب الصريح بتأثير دعاية الرأسمالية الصهيونية وتضليلها وهي تحسب انها تناصر الحق وتخدم السلم والعمران وانها تحقق مبادئها في هذه البقعة المقدسة من الأرض العربية »[١٠] .

اثر النكبة في تطوير نظرة البعث الى العلاقة بين الصراع القومي والصراع الطبقي

بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ ، ونتيجة لها ، اخذت نظرة البعث التحليلية للاستعمار وللاقطاع والرجعية تتضح وتتجذر اكثر فأكثر ، ولعل هذه النكبة التي عرت الرجعية العربية قد